الخطيب في النقطة الثانية ـ فإنَّ ذلك يبدو مستحيل التحقق، خصوصاً وأن هذا الناقد يتحدث عن كتابة الرواية، ذلك أن هذه الكتابة لا يمكن أن تتم إلا إذا كان هناك تعارض بين إديولوجيتين على الأقل، أي إذا كان هناك «نسق» (بتعبير ماشيري). إن الإديولوجيا السائدة ذاتها لا يمكن أن تعبر عن نفسها داخل الرواية إلا من خلال الإديولوجيات المعارضة لها، وكذلك الشأن بالنسبة لهذه الأخيرة.

وعلى العموم فإن ما ينبغي التأكيد عليه بالنسبة لهذا الموضوع الشائك هو أن الإديولوجيات تدخل إلى عالم الرواية التخييلي كمكوِّن جمالي يكون أداة في يد الكاتب ليعبر في النهاية بواسطته عن إديولوجيته الخاصة، ولذلك نقول إن الرواية باعتبارها إديولوجيا لا تتأسس إلاّ بواسطة ومن خلال الإديولوجيات في الرواية.

غير أن تساؤلاً كبيراً يطرح نفسه هنا وهو: هل هذا يعني أن جميع أنماط الرواية تنتهي إلى موقف إديولوجي للرواية، أي للكاتب. ومن الأكيد أن اعتماد المُنَظِّرين، على اختلاف توجهاتهم، على نماذج روائية محددة أدى بهم إلى التباين في هذا الجانب. فقد لاحظنا أن كلاً من بيير ماشيري، وباختين يميلان إلى الاعتقاد بأن إديولوجية الرواية هي إديولوجية ذات طابع استكشافي ومعرفي، ولذلك فهي تقع في المستوى الثاني من أنماط الإديولوجيا التي تحدثنا عنها سابقاً أي في إطار رؤية العالم بالمعنى الذي رسمنا معالمه، وهو مَعْنًى يختلف عن المفهوم الغولدماني، ويقترب كثيراً من المفهوم الثالث للإديولوجيا كمعرفة، والأنماط الروائية الديالوجية يَتَحَقَّقُ فيها كثيراً هذا المستوى المعرفي للإديولوجيا أي الإديولوجيا كرؤية شمولية، وذلك من خلال البنية العامة للخطاب الروائي، وهي البنية التي تمثل في نهاية الأمر موقف الكاتب. هذا الجانب أكد عليه أيضاً كريزنسكي حين رأى أن الرواية تتكون دائماً باعتبارها بحثاً معرفياً. إنها بحث معرفي ذو طابع ابستيمولوجي، ولكن بوسائط جمالية. وأهمية دراسة العلاقة بين الراوي و«المرجع» (والمرجع عنده هو مكونات العالم الروائي ذاته) تعتبر أساسية لتحديد هذا الدور المعرفي للرواية[65].

غير أن أنماطاً روائية أخرى لا يمكن أن يُقارَنَ اختيارُها الإديولوجي النهائي بالنمط الديالوجي، ذلك أن بعضها حتى وإن كان قد وَظَّفَ المظهر الديالوجي للإديولوجيات، فإنه يميل في النهاية إلى اختيار إديولوجي يكاد يتطابقُ مع صورةٍ واحدةٍ من الإديولوجيات المُمَثَّلَة في النص. بمعنى أن الرواية تصبح مجالاً لإظهار الكَيْفية التي يمكن بواسطتها لإحدى الإديولوجيات أن تهزم غيرها، ومن الطبيعي أن يستغل المبدع في ذلك جميع الوسائل الفنية والتمويهية والسياقية حتى لا يظهر هذا التسلط الإديولوجي بشكل مكشوف مما يؤثر على درجة التأثير في القارىء. والواقع أن المثالين اللَّذين قدمنا سابقاً من الرواية العربية سواء

---

(65) W. Krysinski, **Carrefours de signes, essais sur le roman moderne**, Mouton 1981. P. X.